﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف: 35 - 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُما:

مَنْ عُذِّبَ في الدُّنيا ديانةً لَحِقَه عذابُ الآخرةِ جزاءً

لَمَّا بَيَّنَ اللّٰهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ أنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أجَلًا مُعَيَّنًا لا تتَقَدَّمُ عليه ولا تتَأَخَّرُ، بيَّن في هاتين الآيتين أحوالَهم بَعدَ المَوتِ، فإن كانُوا مُطيعِينَ فَلا خَوفٌ عَلَيهِم ولا حُزنٌ، وإن كانُوا مُتَمَرِّدِينَ وقَعُوا في أشَدِّ العَذابِ[1]، فالمناسبةُ بينَ الآياتِ هي إتباعُ بيانِ عذابِ اللّٰهِ في الدُّنيا عذابَ اللّٰه في الآخرةِ، وحسُنَ البَدءُ بعذاب الدّنيا إذ هي السَّابقةُ لعذاب الآخرةِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَقُصُّونَ﴾: من (قَصَص)، ويدلُّ أصلُ المادَّةِ على تَتَبُّعِ الشَّيءِ، مِن ذَلِك قَولُهُم: اقتَصَصتُ الأَثَرَ، إذَا تَتَبَّعتُه. ومِن ذَلِكَ اشتِقاقُ القِصاصِ في الجِراح، وَذَلِكَ أنَّهُ يُفعَلُ بِهِ مِثلُ فِعلِهِ بالأَوَّلِ، فكأَنَّهُ اقتَصَّ أَثَرَهُ[2]. ويُقال: قَصَّ أثرَ الشّيءِ؛ أي: تتبَّعَه. وكذلك اقتَصَّ أثرَه، وتَقَصَّصَ أثرَه. والقِصَّةُ: الأمرُ والحديث[3]. والاستقصاءُ: تَتَبُّعُ كُلِّ شيءٍ. والقَصَص: الأخبارُ المُتَتَبَّعةُ. ومعنى الآية: يَتلُونَها ويَحكُونَها.

2) ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: اشتقاقُ الآية إمَّا من (أيّ)، فإنّها هي الّتي تبيِّن

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/73.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (قصَّ).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (قصَّ).

أيًّا من أيّ، وإمّا من قولِهم: أوى إليه. والصّحيحُ أنّها مُشتقَّةٌ منَ التّأيي الّذي هو التّثبُّتُ، والإقامةُ على الشّيءِ، والآياتُ جمعُ آيةٍ، وهي العلامةُ الظّاهرةُ، وأُطلِقَ عليها هذا الاسم؛ لِمَا فيها منَ الدّلالةِ الباهرةِ والبراهينِ الظّاهرةِ، وسُمِّيتِ الآيةُ منَ القرآن آيةً؛ لأنَّها علامةٌ يُقطَعُ بها كلامٌ من كلامٍ[1]. ومعنى الآيات: الدّلائلُ على توحيدِ اللّهِ.

3) ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: من (كبر)، بمعنى: عَظُمَ، والكِبرُ: العَظَمَةُ والتَّجَبُّرُ، والإثمُ العظيمُ. والكِبرياء: العَظَمةُ، والتَّجَبُّرُ والتَّرفُّعُ عنِ الانقياد، ويُقال: تَكابَر فُلان: أَرى مِن نَفسه أنَّه كبيرُ القَدرِ أو السِّنِّ. واستَكبَر فلانٌ: امتَنَعَ عن قَبولِ الحَقِّ مُعانَدةً وتَكَبُّرًا، والاستِكبارُ: المُبالَغَةُ في التَّكَبُّرِ، وأن يتشبَّعَ الإنسانُ فيظهرَ من نفسِه ما ليس له، وهذا هو المَذمومُ، وعلى هذا ما وردَ في القرآن[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وظيفةُ الرُّسلِ البيانُ، ووظيفةُ النَّاسِ الإيمانُ

يُخاطِبُ اللّهُ بني آدَمَ أنَّه إن جاءَهم رُسُلٌ مِن جِنسِهم البَشَريِّ، يتلونَ عليهم آياتِ كِتابِه، ويُبَيِّنون لَهُم الدِّينَ، فمَنِ اتَّقى فتَرَك المُحَرَّماتِ، وتَرَكَ المَنهياتِ، وعَمِلَ الطَّاعاتِ؛ فلا خوفٌ عليهم ممَّا يَستقبِلونَ مِن أهوالِ يومِ القيامةِ، ولا هم يحزَنونَ على ما فاتَهم من حُظوظِ الدُّنيا، وعلى ما يَتركون مِن مالٍ وذُرِّيَّةٍ، ومَن كَذَّبَ بالدّلائلِ على توحيدِ اللّهِ، فلم يُؤمِنْ بِها، واستكبرَ عنها فلم يَنْقَدْ لأحكامِها، بل كَذَّبَ وتَوَلَّى عُتُوًّا وكِبْرًا، فأولئك هم أصحابُ النَّارِ، ماكِثون فيها، لا يخرجونَ منها أبدًا.

(1) الرّاغب، المفردات، والسَّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (آي).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كبر).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نُكتةُ تَكرارِ النّداءِ:

النِّـداءُ إيـقـاظٌ للغافلِ، وتنبيهٌ للعاقلِ

تَكَرَّر النِّداءُ بقولِهِ تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ قَبلَ هذه الآيةِ ثلاثَ مَرَّاتٍ؛ وذلك للاهتمام بِشَأنِ ما في حَيِّزِهِ[1]، وقد سبقتِ الإشارةُ إلى هذه النّكتةِ.

بَلاغةُ تأكيدِ الشّرطِ:

يُؤَكَّدُ فِعلُ (إمَّا) بنونِ التّوكيدِ؛ لِئَلّا تنحطَّ دَرجةُ فعْلِ الشَّرطِ عن حَرفِهِ

أُوثِرَ الشَّرطُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ في الحَضِّ على الاسْتِجابةِ؛ لتأكيدِ المعنَى المُرادِ هنا، وهو إرسالُ رُسُلٍ مُبَشِّرينَ ومُنذِرينَ؛ لذا أُكِّد هذا الشّرطُ بالنُّون.

فقد ضُمَّت (إنْ) إلى (ما) في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ﴾؛ لِتَأكيدِ مَعنى الشَّرطِ؛ "لِما فيها مِنَ الدَّلالةِ على شَرطِ التَّعليقِ، والدَّلالةِ على زيادةِ العِلْمِ في المُعَلَّقِ عليه، والتُزِم أن يُؤَكَّدَ فعلُها بنونِ التّوكيدِ الثّقيلةِ أو الخفيفةِ؛ لئلّا تنحطَّ درجةُ فعْلِ الشَّرطِ عن حَرفِهِ، وتعاضُدًا في الدَّلالةِ على إرادةِ التّوكيدِ"[2]، وجوابُ هذا الشَّرطِ قولُه تعالى: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾؛ والمَعنى: إنْ أتاكم رُسُلٌ كائِنُونَ مِنكم، يُخبِرُونَكم بأحكامي، ويُبَيِّنُونَها لكم، فَمَنِ اتَّقى مَعاصِيَ اللهِ، وأصلَحَ حالَ نَفسِهِ، بِاتِّباعِ الرُّسُلِ وإجابَتِهِم ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[3].

دَلالةُ العُدولِ عنِ الماضِي إلى المضارعِ:

أَثَرُ رُسُلِ اللهِ باقٍ في الـدُّعـاةِ إلى قِيامِ السَّاعةِ

عُدِلَ عنِ الماضي إلى المضارعِ في قولِهِ: ﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾؛ لِيَدُلَّ على أنَّ الإتيانَ باقٍ وقتَ الخِطابِ؛ لِتَقوى الإشارَةُ بِصِحَّةِ النُّبُوَّةِ إلى مُحمَّدٍ ﷺ؛ وهذا على مُراعاةِ وقتِ نُزولِ الآيةِ[4]، ولإفادةِ أنَّ الدُّعاةَ

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 5/169.
(2) شيخ زاده، حاشية على البيضاويّ: 4/215.
(3) الشَّوكانّي، فتح القدير: 2/286.
(4) ابن عطيّة، المُحَرّر الوجيز، ص: 700.

ورثةُ الأنبياءِ، وأنَّ على النَّاس الاستماعَ إلى دعوتِهم، والاستجابةَ إلى كلمتِهم؛ كاستماعِهم إلى الرُّسلِ والنَّبيِّين.

غَرَضُ تَنكيرِ ﴿رُسُلٌ﴾:

نُكِّرَت كلمةُ ﴿رُسُلٌ﴾ في قولِه تعالى: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾؛ للتَّعظيمِ والتَّكريمِ؛ لِعَظمةِ مَن أرسلَهم سبحانَه؛ ولعظمةِ رسالةِ هؤلاءِ الرُّسلِ ﷺ، ولاصطفاءِ اللهِ لهم مِن بين سائرِ خَلقِه.

مَنِ اتَّبعَ رسولًا واحدًا فقدِ اتَّبعَ سائرَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ

والمرادُ بالرُّسُلِ هنا جميعُ الرُّسُلِ ﷺ، وعليه فالجمعُ على حقيقتِه، وليس كما قيلَ: إنَّ المرادَ به رسولُنا محمّدٌ ﷺ، وأنَّ الجمعَ للتّعظيم[1]؛ لمنافاته للسِّياقِ؛ فالآيةُ ليسَت محمولةً على إطلاقِ الكلِّ وإرادةِ الجزءِ بالاعتبارِ المجازيِّ، بل هي على الحقيقةِ؛ لأنَّ مَنِ اتَّبعَ رسولًا واحدًا فقدِ اتَّبعَ جميعَ المرسلينَ، وهذا هو مُقتضَى الإيمانِ بهم، كما قال ربُّنا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: 285].

دَلالةُ الجارِّ والمجرورِ في الامْتِنانِ:

للجارِّ والمجرور ﴿مِّنكُمْ﴾ المُتعلِّقِ بمحذوفٍ والواقعِ صِفةً لِرُسُلٍ في قولِه تعالى: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾، أثرٌ بالغٌ في الامتنانِ بإرسالِ الرُّسُلِ إلى بني آدمَ، والمقصودُ أنَّ الرُّسلَ مِن عمومِ بني آدمَ، وكذلك من خصوصِ قبيلةِ كُلِّ نَبِيٍّ، وهذا أقطعُ لِعُذرِ المُرسَلِ إليهم، وأثبتُ للحُجَّةِ عليهم؛ لأنَّهم به أَلصَقُ، وبأحوالِه أخبَرُ، وبِشَأنه أعلَمُ.

إرسالُ الرُّسُلِ للنَّاسِ رحمةٌ منَ اللهِ وتَفَضُّلٌ عليهم، وتَعريضٌ بالجَهَلَةِ الَّذينَ أنكَرُوا بعثَتَهم

كما أنَّ الأُلفَةَ، وسُكُونَ القَلبِ، واطمئنانَ النَّفسِ تتحقَّقُ عند إرسالِ الرُّسُلِ إلى بني جِنسِهم بِخِلافِ ما لا يَكونُ مِنَ الجِنسِ، فإنَّه لا يَحصُلُ مَعَهُ شيءٌ مِن ذلك، وهذا مِن بابِ الامتنانِ منَ اللهِ على عبادِه.

(1) الجَمَل، الفتوحات الإلهيَّة: 2/137.

وفي التَّعبير بالجارِّ والمجرور ﴿مِّنكُمْ﴾ قطعٌ لِطَمَعِ المُكذِّبين في أن يُرسِلَ اللّهُ تعالى لَهُم رُسُلًا مِنَ المَلائِكَة؛ لأنَّ المُرسَلَ يَكُون مِن جِنسِ مَن أُرسِلَ إليهِم، وفي هذا تَعريضٌ بالجَهَلَةِ مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أنكَرُوا رِسالَةَ الرُّسُلِ؛ لأنَّهم مِن جِنسِهِم، مِثلُ قَومِ نُوحٍ إذ قالُوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: 27]، وكمشركي مكَّةَ إذ كَذَّبُوا رِسالَةَ محمَّدٍ ﷺ؛ لأنّه بَشَرٌ كما حكى القرآنُ عنهم: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: 94][1].

نُكتَةُ التَّعْبيرِ عنِ الصِّفَةِ بالفعْلِ المُضارِع:

مَـدحُ الـرُّسُـلِ وأتْباعِهم بتلاوةِ آياتِ اللهِ للنَّاسِ أجمعين

عُبِّر عنِ الصِّفَةِ ﴿يَقُصُّونَ﴾ بصيغةِ الفعلِ المضارِعِ في قولِهِ تعالى: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ للإشارةِ إلى إتمامِ رُسُلِ اللّهِ رسالتَهم إلى النَّاس، وكمالِ إبلاغِهم مُرادَ اللّهِ إلى خَلقه، وبَذلِهم أقصى طاقاتِهم في تلاوة منهجِ اللّهِ إلى البَشَرِ، فالآيةُ أفادَت تصويرَ تلاوةِ الرُّسلِ آياتِ اللّهِ، وحكايتَها للنّاس، أو أنّهم مواظبون على تبليغِ رسالاتِ اللّهِ إلى أممِهم، فهم يُتبِعُونَ الآيَةَ بأُخرى، أو أنّهم يُظهِرُونَ ما جاءَهم منَ الآياتِ عنِ اللّه دون كتمانٍ أو إخفاء، وكُلُّها مَعانٍ مَجازِيَّةٌ لِلقَصِّ؛ لِأنَّ حَقيقَةَ القَصِّ هي أنَّ أصلَ القَصَصِ إتباعُ الحَديثِ مِنَ اقتِصاصِ أثَرِ الأرجُلِ واتِّباعِه؛ لِتُعْرَفَ جِهَةُ الماشي، فَعَلى المَعنى الأوَّلِ فَهو كَقَولِهِ في الآيَةِ الأُخرى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزّمر: 71]، وأيًّا ما كانَ فَهو مُحتَمَلٌ لِلحَملِ عَلى جَميعِها مِنَ استِعمالِ اللَّفظِ في مَجازَيه[2]، أو أنَّ الرّسلَ ﷺ مُستمرُّون في تلاوةِ آياتِ اللّهِ تعالى من خلال أتباعِهم، وفي ذلك مدحٌ عظيمٌ وثناءٌ بالغٌ على المُبلِّغينَ رسالةَ الرُّسلِ للنَّاس دونَ تحريفٍ أو تبديلٍ أو تغيير.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/108.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/108.

سِرُّ اخْتِيارِ مُفردةِ ﴿يَقُصُّونَ﴾ دونَ مُرادفاتِها:

تَناسُبُ التَّعْبيرِ بالقَصِّ مَعَ المَقصودِ الأعلَى للسُّورةِ

أُوثِرَ التَّعبيرُ بـ﴿يَقُصُّونَ﴾ دون (يَتْلون) مع أنَّها الأظهرُ في مقامِ ذكرِ الآياتِ؛ لأنَّ القَصَّ أَعَمُّ؛ حيث يَشملُ كُلَّ ما يُخبَرُ به، سواء كان من صُحُفٍ أَم مِن دون صُحُفٍ، وسواء كان بتلاوةٍ مباشرةٍ بالتزامِ حروفِها أم بغيرِها، فالتَّعبيرُ بـ﴿يَقُصُّونَ﴾ يشملُ جميعَ الرُّسُلِ ممَّنْ أُنْزِلَت عليهم الكُتُبُ، ومَن لم تُنَزَّلْ عليهم، كما حكى اللهُ مثلَ ذلك في السّورةِ السّابقةِ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: 130][1].

وقد رَبَطَ البِقاعيُّ بَين مقصودِ السُّورةِ، وإيثارِ التَّعبيرِ بالقَصِّ دون التِّلاوة ومرادفاتِها فقال: "ولَمّا كانَ الأغلَبُ على مَقصدِ هَذِهِ السُّورَةِ العِلْمَ كما تَقَدَّمَ في قوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف: 7]، ويأتي في قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: 52] وغَيرِها، كانَ التَّعبيرُ بِالقَصِّ الَّذي هو تَتَبُّعُ الأثَرِ كما تَقَدَّمَ في الأنعامِ أليَقَ، فَقالَ: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾؛ أي: يُتابِعُونَ ذِكرَها لَكم على وجهٍ مَقطوعٍ بِهِ، ويَتَّبِعُ بَعضُهم بِها أثَرَ بَعضٍ لا يَتَخالَفُونَ في أصلٍ واحدٍ مِنَ الأُصُولِ"[2].

نُكتةُ تَعْدِيةِ الفعْلِ بحرف الاسْتِعلاءِ:

قَصَّ الرُّسُلُ آياتِ اللهِ لإقامةِ الحُجَّةِ على المَدعُوِّين، وقطْعِ معاذيرِهم

عُدِّيَ الفعلُ ﴿يَقُصُّونَ﴾ بحرف الاستعلاءِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، ولم يُتَعَدَّ بحرف الاختصاصِ (اللّام) فلم يُقَل: (يَقُصُّون لَكُم)، ولم يَرِد كذلك الفعلُ غيرَ مُتعدٍ بحرفٍ كقولِه تعالى: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ [الأنعام: 57]؛ لأنَّ (على) تُشعِرُ بالثِّقَلِ والتَّحَمُّلِ والتَّبِعةِ، وهذا يناسبُ المقامَ هنا؛ حيث لم يكن قَصُّ الرُّسُلِ آياتِ اللهِ على المبعوثينَ إليهم بغرضِ تزجيةِ الوقتِ والتَّسليةِ، وإنَّما لإقامةِ الحُجَّةِ

(1) السَّامرائي، أسئلة بيانيّة: 2/50.
(2) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/394.

عليهم، وقطعِ معاذيرِهم، وتلك مسؤوليّةٌ عليهم وتَبِعةٌ إن أعرضوا عن آياتِ اللهِ، ومنهجِ رَبِّهم، والتّصديقِ بآياتِهِ؛ لذا كان الملائمُ هنا تعديةَ الفعلِ بحرفِ الاستعلاءِ لا بحرفِ الاختصاصِ.

نُكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ:

المُخاطَبونَ هم المُستهدفونَ مِن تلاوةِ آياتِ اللهِ عليهم، وتبليغِها إليهم

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ في قولِه: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾؛ للاهتمامِ بالمُقَدَّم؛ حيث إنَّ المُخاطَبينَ هم المُستهدفونَ مِن تلاوةِ آياتِ اللهِ عليهم، وتبليغِها إليهم؛ لذا قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ؛ ففيه معنى الرِّعايةِ بالمُخاطَبين وبيانِ رحمةِ اللهِ بهم، فهو أرسلَ الرُّسلَ ليقُصُّوا عليهم الآياتِ، ولو عكسَ لكان الاهتمامُ بالآياتِ، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ دعوتَهم هي غايةُ الإرسالِ، وهذا من حكمةِ اللهِ تعالى الّذي يضعُ الأمورَ في نصابِها، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 4]؛ إذ مهمّةُ كلِّ رسولٍ هي البلاغُ بلُغةِ قومِهِ ليوضِّحَ لهم شريعةَ اللهِ.

دَلالةُ إضافةِ (آيات) لضميرِ المُتكلِّمِ المُفرِدِ:

تشريفُ الآياتِ وتعظيمُ الدّاعينَ لها

المرادُ بآياتِ اللهِ تعالى في قولِه: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ آياتُ كُتُبِه سبحانَه، والدَّلائلُ، والأحكامُ، والشَّرائعُ؛ لأنَّ جَميعَ هَذِهِ الأشياءِ آياتُ اللهِ تعالى؛ كما أنَّ الرُّسُلَ إذا جاءُوا فلا بُدَّ وأن يَذكُرُوا جَميعَ هذه الأقسامِ[1].

وإضافةُ (آيات) لضميرِ المتكلِّمِ المفردِ ﴿ءَايَٰتِي﴾؛ لتشريفِ الآياتِ، ولتعظيمِ الدَّاعينَ إليها، فالآياتُ آياتُ اللهِ تعالى مَلِكِ الملوكِ، بارئِ الكَونِ، ربِّ العالمينَ.

تقديرُ المحذوفِ بين جُملةِ الشّرطِ وجوابِها:

وَقَعَت جُملَةُ ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ جَوابًا للشَّرطِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾، وبَينَ جُملَةِ الشَّرطِ وجوابها محذوفٌ تقديرُهُ:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/73.

(فاتَّقى منكم فَريقٌ، وكَذَّبَ فَريقٌ؛ فَمَن اتَّقى)...، وهَذه الجُملَةُ شَرطِيَّةٌ أيضًا، وجَوابُها: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: فَمَن اتَّبَعَ رُسُلِي فاتَّقاني، وأصلَحَ نَفسَهُ وعَمَلَهُ، فَلا خَوفٌ عليهم ولا هم يَحزنونَ[1].

الإيجازُ بالحذْفِ دَلَّت عليه الفاءُ الـفـصـيـحـةُ، وهو مِن سِماتِ البيانِ القرآنيِّ

وهذا مِنَ الإيجاز بالحذف، دَلَّت عليه الفاءُ الفصيحةُ، وقد جَنَّبَ هذا الأسلوبُ الرشيقُ طُولَ العبارة وتَرَهُّلَها، وحافظَ على رشاقةِ الجُملةِ وخِفَّتِها، وتلك مِن سمات التَّعبيرِ القرآنيِّ المُعجِزِ.

نُكتةُ اقْترانِ جوابِ الشَّرطِ بالفاء:

وُجـوبُ تَـحَـقُّـقِ الـوعْـدِ، وجـوازُ تَخَلُّفِ الوعيدِ

اقتُرِنَ جوابُ الشَّرطِ الأوَّلُ بالفاءِ في قولِه: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾، دونَ الجزاءِ الثّاني في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ للمبالغةِ في الوعدِ؛ لِعَدم تَخَلُّفِه، إذ حرفُ الفاءِ يُشعِرُ بأنَّ الاتِّقاءَ سَبَبٌ للفَلاحِ، وهو لا يتخَلَّفُ عنِ الاتِّقاء[2]، واقترنَ بالفاءِ أيضًا؛ للمبالغة بِعَدم تَخَلُّفِه، وللمُسامحةِ في الوعيدِ، فإنَّه يجوزُ تَخَلُّفُه رحمةً منَ اللهِ تعالى ببَعض العُصاةِ، ومغفرةً منه سبحانَه، وتَفَضُّلًا، وعفوًا، والمعنى: لا خوفَ عليه منَ العقاب، ولاهُم يحزنون لفواتِ الثَّواب[3].

سِرُّ العُدولِ عمَّا يقتضِيه الظَّاهرُ في جوابِ الشَّرطِ:

غـايـةُ إرسـالِ الـرُّسُـلِ تـوريـثُ التَّقوَى وإصلاحُ النَّاسِ

جاءَ جوابُ الشَّرطِ خلافَ ما يُتوقَّعُ، وهو: (فَمَنِ اتَّبَع الرُّسُل)، فآثر النَّظمُ قولَه تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾؛ لأنَّ غايةَ إرسالِ الرُّسُلِ هي توريثُ التَّقوى، وإصلاحُ النّاسِ، لا نَفعُ الرُّسُلِ ﷺ، إذ هو لسانُ حالٍ ومقالِ موكبِ الأنبياءِ الكريم، حينما قالُوا لأقوامِهم: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشّعراء: 109]؛ فأرادَ النَّظمُ إبرازَ هذا المطلوبِ، فغرضُ النَّظمِ تجليةُ المقصودِ، وتبيينُ المرادِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 8/109.
(2) القونويّ، حاشيته تفسير على البيضاويّ: 8/378.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 4/166.

فائِدةُ التَّعْبيرِ بالفعْلِ الماضِي:

الإغـراءُ بسُرعةِ الاسْـتِـجـابـةِ، ووجـوبِ المُبادرةِ إلى الطاعةِ

أُوثِرَ التَّعبيرُ بالفعل الماضي في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ على المضارع: (يَتَّقي ويُصْلِح)؛ إغراءً بسرعة الاستجابةِ، وحَثًّا عليها، وإظهارًا لِلعبد المُستجيبِ الطَّائعِ الّذي اتّقى التَّكذيبَ بآياتِ اللّهِ، وأصلحَ عملَه في صورةِ مَن بادرَ إلى العملِ فورَ تلقِّيه آياتِ رَبِّه.

وفي هذا أيضًا إشارةٌ إلى وجوبِ المُبادرةِ إلى طاعةِ اللّهِ تعالى دونَ تباطؤٍ أو تَلَكُّؤٍ، وإلى تطبيقِ شَرعِ اللّهِ في أرضِهِ، واتِّخاذِه مَنهَجَ حياةٍ دون سَخَطٍ أو إجبارٍ، بل طَواعِيَةً، وبِصَدرٍ مُنشَرِحٍ، ونَفسٍ راضيةٍ.

غَرَضُ التَّنكيرِ:

نفيُ أدْنى خَوفٍ أو حُـزنٍ مِـن جـمـيـعِ مَـكـارِهِ الـنَّـفْـسِ يـنـالُ الأتقياءَ الأنقياءَ

غرضُ التَّنكيرِ في قولِه: ﴿خَوۡفٌ﴾ التَّقليلُ، والمُرادُ نَفيُ أن يَمَسَّ المُتَّقينَ الطَّائعينَ المُصلِحينَ أدنى خَوفٍ مِن جميع مَكارِهِ النَّفسِ وأنكادِها في مُستَقبَلِهم وماضيهم، فهنا نَفيٌ لِجِنسِ الخَوفِ بدلالة (لا) النّافية للجنس ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ والمعنى: فَلا خَوفٌ عليهم في الدّارَين مِن لُحُوقِ مَكرُوهٍ، ولاهُم يَحزَنُونَ مِن فَواتِ مَطلُوبٍ.

تَوجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ:

قـراءةُ الـفـتْـحِ تَـنـفِـي جـمـيـعَ أنواعِ الخَوْفِ

قرأ يَعقُوبُ (فَلا خَوْفَ عَلَيْهُم) بِفَتحِ الفَاءِ من غيرِ تَنوينٍ، وَقرأَ البَاقُونَ بِالرَّفعِ والتّنوين؛ وذلك أنَّ (لا) إذا بُنيَت مع النَّكرةِ على الفتحِ كانَ النّفيُ بها عامًّا، نحو: لا رجلَ في الدَّار، فهو نفيٌ لجميع أجناسِ الرِّجالِ في الدَّار، كأنَّه جوابُ سؤالٍ مُقدَّرٍ: هَل من رجلٍ في الدّارِ؟

فتكون قراءةُ الفتحِ: (فَلا خَوْفَ) آكدَ في نفي الخوفِ؛ لِمَا فيها من عموم نفي جنسِ الخوفِ، فأفادَت نفيَ جميعِ أنواعِ الخوفِ عن متَّبعي هدى الرّحمنِ[1]، وأنَّ المكلَّفَ الّذي أطاعَ اللّه تعالى لا يلحقُه

(1) الشّيرازيّ، الموضَح: 1/269 - 270.

خوفٌ في القبرِ، وعندَ البعثِ، وعندَ حضورِ الموقفِ، وعندَ تطايرِ الكتبِ، وعندَ نصبِ الميزانِ، وعندَ الصّراطِ[1].

نُكتةُ التَّعْبيرِ بحرفِ الاسْتِعلاءِ:

نفيُ اسْتِعلاءِ الخَوفِ عليهم وتمكُّنِه منهم، وإحاطَتِه بِهِم، لا مُطلَقِ الخوفِ

الاستعلاءُ في قولِه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ استعلاءٌ مجازيٌّ، وأُوثِرَ التَّعبيرُ بـ(على)؛ لما في (على) مِنَ الدِّلالة على الاستِعلَاءِ والإحاطَةِ، ولأنَّ الخوفَ مَضَرَّةٌ وأَلَمٌ نفسيٌّ وثِقَلٌ يَعتَري صاحبَه، ويستولي عليه، وهذا يناسبُه حرفُ الاستعلاءِ، كما أنَّ في التَّعبيرِ بحرفِ الاستعلاءِ تصويرُ الخوفِ بجاثمٍ على الصّدرِ، مُتمكِّنٍ من صاحبِه، وهذا حالُ الخائفِ، فالآيةُ نفَت ذلك الخوفَ، وأثبتتِ الأمانَ والطَّمأنينةَ لصاحبِها، فيكُونُ المَنفيُّ استعلاءَ الخَوفِ عَلَيهِم وتمكُّنَه منهم، وإحاطتَه بِهِم، لا مطلق الخوفِ، فلا يكون فِيهِ نفيُ خوفِ المُتّقينَ مِن أهوَالِ القِيَامَةِ، لكنَّها تكُونُ مُخَفَّفَةً عَنهُم، ثُمَّ إذا صارُوا إلى رحمةِ اللّهِ سبحانَهُ؛ كانَ حَالُهم كَحَالِ مَنْ لَم يخَفْ[2].

سِرُّ تَقديمِ نَفْيِ الخَوفِ على نَفْيِ الحُزنِ:

الخوفُ يَقوَى مع اقترابِ المَخوفِ منه بخلافِ الحُزنِ فيضعَفُ بالابتعادِ عن زمانِهِ

قُدِّم نَفيُ الخَوفِ على نَفي الحُزنِ في قولِه تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأنَّ الخوفَ يكونُ لِمَا سيأتي، بينما الحزنُ فلمَا مضى، وما مضى يضعفُ مع الأيّام، بخلافِ الخَوفِ فإنَّه يَشتَدُّ بمرِّ الزَّمانِ ويَقوى، والحُزنُ يَخِفُّ ويَضعفُ؛ لذا قُدِّمَ الأقوى في النَّفسِ، والأشدُّ أَثَرًا فقالَ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: مِن شَيءٍ آتٍ، فإنَّ الخَوفَ اضطِرابُ النَّفسِ مِن تَوَقُّعِ فِعلٍ ضارٍّ[3].

وأيضًا، لأنَّ الحُزنَ يحصلُ نتيجةَ الخوفِ، فالحزنُ مرحلةٌ تاليةٌ للخوفِ، فإذا نُفِي ما يُستَجَدُّ مِنَ الحزنِ يُنفى ما يُستَجَدُّ مِنَ الخوفِ.

(1) الجاويّ، مَراح لبيد: 1/17.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/274.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 1/65.

نُكتةُ اختلافِ المتقابلات:

خـوفُ المُؤمنين مِـن أهـوالِ يومِ القيامةِ واقـعٌ، وإثـبـاتُـه مَـدحٌ لَهُم

المُتأمِّلُ في صياغةِ جُملَتي الجزاء: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، وجملة: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يلحظُ اختلافَ الصّياغةِ بينَ الجملتين؛ حيث جاءَت الأُولى بالاسم ﴿خَوْفٌ﴾، والثّانية بالفعل ﴿يَحْزَنُونَ﴾، حيث لم يقُل سبحانَه: (لا يخافون)، كما قال: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ وذلك لأنَّ الخوفَ يقوى ويثبتُ مع تقادمِ الأيَّام، والّذي يناسبُ ذلك التَّعبير بالاسم، بينما الحزنُ فإنَّه يضعفُ مع تباعدِ الأيَّام، فناسبَ ذلك الفعلَ.

فائدةُ مجيءِ المُسندِ إليه مَنفيًّا، والمُسنَدِ فعْلًا:

الـتَّـعـريـضُ بـالـجـديـريـن بـالـحُـزنِ مـنَ الكفَرةِ

أفادَ النَّظمُ الاختصاصَ، فأتى بالمسندِ إليه المسبوقِ بأداةِ النَّفي، والمسندِ الفعليِّ؛ فأفادَ نَفيَ الحُزنِ عنهم، وإثباتَه لغيرِهم؛ والمعنى: أنَّ الحزنَ سيقعُ لكن على غيرِهم لا عليهم، فهو تعريضٌ بمَن آثرَ الكفرَ على الإيمانِ في الدُّنيا.

وعَدَل عَنِ المُفرَدِ، بأن يُقالَ: ولا حُزنٌ عليهم، إلى ما عليه النَّظمُ القرآنيُّ؛ لِيَتَأتّى بذَلِكَ بِناءُ المُسنَدِ الفعليِّ على ضميرِهم؛ فيفيد القَصرَ؛ أي: تخصيصُ المُسنَدِ إلَيه المُتَقَدِّم ﴿هُمْ﴾ بالخَبَرِ؛ فَيَدُلُّ على أنَّ الحُزنَ واقِعٌ بِغَيرِهم، وهم الَّذينَ كَفَرُوا[1].

سِرُّ الاخْتِلافِ في التَّعْبيرِ بينَ المُتَقابِلاتِ:

الـتّـكـذيـبُ كـالاسـتِـكـبـارِ، كلاهما مانعٌ مِنَ التّقوَى والعمَلِ الصّالِحِ

جاءَ قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ﴾ معطوفًا على ما قَبله، ولم يقُل: (ومَن كفرَ وأفسدَ) موافقًا للمعطوفِ عليه في اللّفظ؛ لِلإيذانِ بأنَّ مَدارَ الفَلاحِ لَيسَ مُجَرَّدَ عَدَمِ التَّكذيبِ، بل هو الاتِّقاءُ والاجتنابُ عنه[2]، والمرادُ هنا: بيانُ عاقبةِ الّذين أعرضوا عنِ التَّصديقِ بآياتِ اللهِ الدَّالّةِ على وحدانيَّتِهِ سبحانَه، وأنِفُوا مِن قَبُولِها وتَمَرَّدُوا عَنِ الإذعانِ لها، والعملِ بمقتضاها.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 8/109.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 6/170.

نُكتةُ التَّعْبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

كُفْرُ المُخبَرِ عنهم بجميعِ آياتِ اللهِ تعالى

أُوثِرَ التَّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ دون الاسمِ الظّاهرِ في قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، حيث لم يقُل: (والمُكَذِّبون بآياتنا)؛ لبناءِ الخبرِ على صلةِ الموصولِ؛ أي: إنَّ ذَلِكَ العقابَ لِأجل تَكذيبِهِم بآياتِ اللهِ واستِكبارِهِم عنها.

غَرَضُ إضافةِ الآياتِ إلى ضَميرِ التَّعظيمِ:

تفخيمُ الآياتِ وتعظيمُها وبيانُ فظاعةِ جُرْمِ المُكَذِّبينَ

أُضيفتِ الآياتُ إلى ضميرِ الجَمعِ لتفخيمِها وتعظيمِها، كما لا تَخفى دلالةُ الإضافةِ إلى ضميرِ العظمةِ (نا) على فظاعةِ جُرمِ هؤلاءِ المَخلوقينَ الضُّعفاءِ الّذين يتجاسرون على محاربةِ رُسُلِ اللهِ تعالى، والتّكذيبِ بآياتِ اللهِ خالقِهم ورازقِهم.

نُكتةُ جمْعِ الآياتِ:

الإشارةُ إلى المُبالغةِ في مقابَلةِ حُججِ الحقِّ بأكاذيبِ الباطلِ

التَّعبيرُ بصيغةِ الجَمعِ في قولِهِ: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في المَوضعين، حيث قالَ في الآيةِ السَّابقةِ: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ مبالغةً في الإخبار عن جحودِهم، وإعراضِهم عن آياتِ اللهِ تعالى، وتكذيبِها، وكأنَّهم ما تركوا آيةً من آيات دلائلِ وحدانيّةِ اللهِ تعالى جاءَتهم بِها رُسُلُهم عليهم السلام إلَّا وكذَّبوها، وأعرضوا عنِ الإيمانِ بِها.

فائِدةُ عطْفِ الاسْتِكبارِ على التَّكذيبِ:

بيانُ عِلّةِ التَّكذيبِ وهي الاستِكبارُ

ذُكِرَ الاستكبارُ عن آياتِ اللهِ تعالى بعدَ ذكرِ التَّكذيبِ بها في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ﴾؛ لبيانِ عتوِّ المُكذِّبينَ، وأنَّهم كُذِّبُوا بسببِ استكبارِهم عن آياتِ اللهِ وقَبولِها، ففائدةُ العطفِ تظهرُ في أمرين:

الأوَّل: بيانُ شدَّةِ تكذيبِ المُكذِّبين، وطغيانِهم.

الآخر: بيانُ علَّةِ التَّكذيبِ وهي الاستكبار، فهو من عطفِ العلَّةِ على النَّتيجةِ؛ كأنَّه قال: كذَّبوا؛ لأنَّهم مُستكبرونَ عن آياتِ اللهِ.

دَلالةُ عدَمِ إشرابِ الاسمِ الموصولِ معنَى الشَّرطِ:

العبارةُ فيها تهديدٌ ضِمْنيٌّ مناسِبٌ لشناعةِ جُرْمِ المُكذِّبين

منَ الملحوظِ في هذه الآيةِ الكريمةِ عدمُ إشرابِ الاسمِ الموصولِ معنى الشَّرط بإثباتِ الفاءِ في جملةِ خبرِهِ، حيث خلا قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ منَ الفاءِ، فلم يقُل: (فأولئك أصحاب النّار)؛ وذلك "لِلتَّرهيبِ مِن شَكاسَةِ الطِّباعِ"[1]، فأُخرِجَتِ العبارةُ في صورةِ خَبَرٍ مشحونٍ بالوعيدِ والتّهديدِ؛ ليتناسبَ مع شناعةِ جُرمِ المُكذِّبينَ المُعاندينَ للّه تعالى، ورُسُلِه الكرامِ ﷺ.

نُكتةُ التَّعْبيرِ باسْمِ الإشارةِ في الإنباءِ عن مَصيرِ المُكذِّبينَ:

الإيماءُ بأنَّ المُشارَ إليهم غارقونَ في الضَّلالِ، وشِدَّةِ العَذابِ

عُبِّرَ باسم الإشارةِ للبعيد؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾، فلم يأتِ بضميرِ الفصلِ (هم أصحاب النَّار)؛ وذلك للدّلالةِ على بُعدِ منزلتِهم في البُغضِ والضَّلالِ والهلاكِ، فتضمَّنَ اسمُ الإشارةِ ما يُفيدُه ضميرُ الفصلِ من بيانِ مآلِهم، وفي الإشارة إلى الموصوفين بصفاتِ التَّكذيبِ والاستكبارِ إيماءٌ إلى أنَّ هذه الصّفاتِ هي السّببُ في الجزاء.

دَلالةُ اخْتِيارِ لفْظِ الصُّحبةِ:

التَّركيبُ يُشيرُ إلى المُلازمةِ الدَّائمةِ للنَّار

اختارَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ الصُّحبةِ في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ وتعني الصُّحبةُ "الاقترانَ بالشَّيء في حالٍ ما، وفي زمانٍ ما، فإن كانتِ المُلازمةُ والخُلْطةُ، فهي كمالُ الصُّحبةِ، وهكذا هي صُحبةُ أهلِ النَّارِ"[2]، صُحبةٌ دائمةٌ ملاصقةٌ مُستمرَّةٌ، صحبةٌ لا انفكاكَ منها. وفي التَّعبير بهذا التّركيبِ إشارةٌ إلى أنَّ هؤلاء الكُفَّار هُم أَحَقُّ بهذه النَّار؛ لأنَّهم أهلُها، وقد قَدَّموا ما يستأهلونَ به صُحبةَ النَّارِ، وجدارةَ ملازمتِها، والخلودَ فيها، "وأفادَ تَحْقيقَ أنَّهم صائِرُونَ إلى النّارِ بِطَريقِ قَصرِ مُلازَمَةِ النّارِ

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/395.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/219.

عليهم في قولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾؛ لأنَّ لَفظَ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ مُؤذِنٌ بالمُلازَمَةِ"[1].

كما أنَّ هذا التَّركيبَ يُشيرُ إلى قصرِ ملازمةِ النَّارِ لهم، فهم مُلازِمون لها على الدَّوامِ دونَ غيرِهم، ممَّن سيدخلُها من فَسَقَةِ المؤمنين، وهذا دليلٌ على الخلودِ.

نُكتةُ الفصْلِ:

توكيدُ الخُلودِ لمعنَى الصُّحبةِ

جاء قولُه تعالى: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مفصولًا غير موصولٍ؛ لإفادتِه توكيدَ الجملةِ السَّابقةِ، فقد أفادَت الجملةُ السَّابقةُ أنَّ أصحابَ النَّارِ مُلازمونَ لها على الدَّوام، فكان ذكرُ الخلودِ توكيدًا لمعنى الجملةِ السَّابقةِ، ولذلك فُصِلَت، وهي من بابِ كمالِ الاتِّصالِ.

دَلالةُ التَّوكيدِ بضميرِ الجمْعِ ﴿هُمۡ﴾:

مزيدُ ترويعٍ للمُكذِّبين وتهديدٍ لَهُم، وعَدمُ خُلودِ مُرتكِبِ الكبيرةِ منَ المسلمينَ في النَّارِ

دلَّ التَّوكيدُ بضميرِ الجمعِ ﴿هُمۡ﴾ على عَدمِ خلودِ العاصِي مِن غَيرِ تَكذيبٍ ولا استِكبارٍ في النَّارِ، وبدليلِ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على الخبرِ في قولِه: ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ودلالتِه على القَصرِ؛ أي: هؤلاء البُعداء المُكَذِّبون المُستكبرون هم خالدون فيها دونَ غيرِهم، فالخلودُ فيها خاصٌّ بهم لا بغيرِهم، وكأنَّ النَّارَ خُلِقَت لهم خاصّةً، وفي هذا مزيدُ ترويعٍ لَهُم وتهديدٍ.

دَلالةُ التَّوكيدِ بالجُملةِ الاسْميَّةِ:

كثرةُ المُؤكِّدات دليلُ إرادةِ تثبيتِ الحقائقِ لإقامةِ الحُجَّةِ على المُنكِرين

دلَّتِ الجملةُ الاسميَّةُ في قولِه: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ على طولِ ملازمةِ الكفرةِ وبقائِهم في النّار، وعلى الدَّوامِ والثَّباتِ، وأُكِّد هذا البقاءُ الأبديُّ للكفّار في النَّار بمؤكِّدٍ ثالثٍ، هو قولُه: ﴿خَٰلِدُونَ﴾.

فقد أَكَّد النَّظمُ خُلودَ هؤلاءِ الموصوفين في النَّار بمؤكِّدات أربعة:

أوّلها: القَصرُ، فقد قَصرَ الخلودَ في النَّار عليهم بتعريف الطَّرَفين.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/111.

ثانيها: أنّهم أصحابُ النّار؛ أي: الملازمون لها ملازمةَ الصّاحبِ لصاحبِهِ.

ثالثها: التّأكيدُ بضمير الفصلِ، إذ يقول: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

رابعها: تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِيهَا﴾ في معنى قصرِهم على النّار؛ أي: أنّهم فيها لا في غيرِها خالدون.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القَصُّ والتِّلاوةُ:

القَصُّ أعـمُّ منَ التِّلاوةِ في الفعْلِ والأثَرِ

يَدُلُّ جِذْرُ كلمةِ (قَصَّ) على تَتَبُّعِ الأثرِ، أمَّا كلمة (تَلا) فيدلُّ أصلُ معناها على الاتِّبَاع. يُقَالُ: تَلَوتُه إذا تَبِعتَه. ومِنهُ تِلاوَةُ القُرآنِ؛ لأَنَّه يُتبِعُ آيَةً بَعدَ آيَةٍ.

والقَصُّ أعمُّ منَ التِّلاوةِ؛ لأنَّه يشملُ كُلَّ ما يُخبَرُ به، سواء كان من صُحُفٍ أَم مِن دون صُحُفٍ، وسواء كان تلاوةً أم لا.

الخوفُ والحُزنُ:

الـخـوفُ هَـمٌّ لمتوقَّعٍ لم يأتِ، والـحُـزنُ غَـمٌّ لما وقعَ

الخوفُ يكون منَ المستقبل، والحُزنُ يكون على الماضي، وكلاهما من أوصافِ هذه الحياةِ، وممّا يوجدُ في هذه الحياة، يقولُ اللّهُ تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، وهذا في الآخرة إذ لا يخافونَ منَ المستقبل، ولا يحزنونَ على ما فاتَ وما مضى.

والخوفُ هَمٌّ يلحقُ الإنسانَ لشيءٍ مُتوقَّعٍ، والحُزنُ غَمٌّ يلحقُه لشيءٍ وقع[1].

الكذبُ والافْتراءُ:

الافـتـراءُ أخـصُّ مِـنَ الـكـذِبِ وأشَدُّ ذَمًّا

الكَذِب: هو عدمُ مطابقةِ الخبرِ للواقع، أو لاعتقاد المُخبرِ لهما على خلافٍ في ذلك.

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 3/231.

والافتراءُ: أخصُّ منه؛ لأنَّه الكذبُ في حقِّ الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذبِ، فإنَّه قد يكون في حقِّ المتكلِّم نفسِه، ولذا يُقال لمَن قال: فعلتُ كذا، ولم أفعلْ كذا مع عدمِ صدقِه في ذلك: هو كاذبٌ، ولا يُقال: هو مُفترٍ، وكذا مَن مدحَ أحدًا بما ليس فيه، يُقال: إنَّه كاذبٌ في وصفِهِ، ولا يُقال: هو مُفترٍ؛ لأنَّ في ذلك ممّا يرتضيه المقولُ فيه غالبًا[1]، وقد يحسنُ الكذبُ على بعضِ الوجوهِ، كالكذبِ في الحربِ، وإصلاحِ ذاتِ البينِ، وعلى الزّوجةِ، كما وردَت به الرّواية[2]؛ لأنَّ المُؤمِنَ لا يكونُ كَذّابًا، ولكنَّ بَعضَ الأحوالِ يُطلَبُ فيها التَّورِيَةُ أو المُداراةُ، وتَصريحُ الشَّخصِ بما يُرضي الطَّرَفَ الآخَرَ؛ لِرعايَةِ مَصلَحَةٍ، أو دَرءِ مَفسَدَةٍ، أو التَّخلُّصِ من عَدوٍّ، والتَّحايُلِ عليه، بخلافِ الافتراءِ.

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 145.

(2) عن أمِّ كلثوم بنت عقبة ﵂، قالت: ما سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ رخَّصَ في شيءٍ منَ الكذبِ إلاّ في ثلاثٍ: «الرَّجلُ يقولُ القولَ يريدُ به الإصلاحَ، والرّجلُ يقولُ القولَ في الحربِ، والرّجلُ يُحدِّثُ امرأتَه، والمرأةُ تحدِّثُ زوجَها». أخرجه أبو داود في سننه، الحديث رقم: (4921)، والنّسائّي في السّنن الكُبرى، الحديث رقم: (9134)، وأحمد في مسنده، الحديث رقم: (27275).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»